(٢)

حوار لـ«مؤسسة مؤمنون بلا حدود»

من خرافة المعجزة اليونانية إلى عقلانية الخطاب الدينى وآليات النهضة العربية المأمولة[١]

فى البداية نرحب بكم على منبر مؤسسة مؤمنون بلا حدود ونود أن نلقى الضوء على مساركم العلمى والأكاديمى، وما هى حيثيات تلقبكم بلقب (السادة العمداء)؟

دعنى فى البداية أشكركم د. غيضان ومؤسسة مؤمنون بلا حدود على اتاحة هذه الفرصة الطيبة للتحدث من مؤسسة فكريه ولدت عملاقة وذات تأثير واسع إلى جمهورها العريض وأتمنى أن يكون لقائى معكم مفيدا وعلى قدر أهمية منبركم المهم..

لقد تخرجت من قسم الفلسفة بآداب القاهرة عام ١٩٧٥م بتقدير عام ممتاز، ومن ثم عينت معيدا بالكلية وحصلت على الماجستير بامتياز وكان البحث عن فكرة الألوهية عند أفلاطون وعلاقتها بعالم المثل ثم

(١) أجرى هذا الحوار مع المؤلف د. غيضان السيد ونشر فى موقع مؤسسة «مؤمنون بلاحدود» الالكترونى فى: ١١ يونيه ٢٠١٥م.

على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى وكانت عن نظرية المعرفة وعلاقتها بنظرية العلم عند أرسطو عام ١٩٨٥م. وتدرجت فى الترقيات حتى حصلت على درجة الأستاذية ١٩٩٧م.

أما حكاية لقب العمداء، فهى تبدأ من هذا التاريخ تحديدا حيث توليت فى هذا العام منصب رائد اتحاد الطلاب وكان يمثل فى ذلك الوقت التمهيد والتأهيل الضرورى لمنصب وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب وظللت فى هذا المنصب عدة سنوات حتى رشحت لمنصب الوكيل عدة مرات وكلما ذهب اسمى لرئيس الجامعة مع أخرين قيل أننى لازلت صغيرا وأمامى فرصا أخرى لشغل هذا المنصب! حتى احتاجتنى الجامعة فى منصب العميد لكلية التربية بفرع الجامعة ببنى سويف وكان ذلك فى عام ٢٠٠٢ م إلى جانب عملى الأصلى انئذ وهو رئاسة قسم الفلسفة للمرة الأولى، وظللت أشغل المنصبين معا حتى عام ٢٠٠٥ م حين استقل فرع الجامعة وأصبح جامعة مستقلة. بعد ذلك مباشرة فضلت الاستقالة من منصب العمادة، لكن نجاحى فى هذا المجال الادارى فيما يبدو لم يترك فرصة الاختيار والاكتفاء برئاسة القسم؛ حيث رشحت بعد ذلك مباشرة للعمل بجامعة السادس من اكتوبر كعميد لكلية العلوم الاجتماعية فذهبت لعلى أضيف كما استفيد من تجربة العمل فى الجامعات الخاصة وكانت بالفعل تجربة مفيدة لكن لم تستمر سوى عام ونصف لأن جامعة القاهرة استدعتنى مرة أخرى لأتولى عمادة كلية رياض الأطفال، ورغم أن ذلك كان أمرا بعيدا عما تخيلته لأن هذه الكلية كان بها الكثير من المشاكل ولكن أمام اصرار رئيس الجامعة قبلت وكانت تجربة فى غاية الثراء؛ فبعد أن أعدت هيكلة الكلية بدأت

فى تطويرها فى كل المجالات حيث بدأت خطوات حصولها على الاعتماد وتطوير برامجها بنظام الساعات المعتمدة وبدلا من البرنامج الواحد الذى كان بها صممنا أربعة برامج جديدة وكذلك تم اعداد ثلاثة برامج للتعليم المفتوح أحدهم برنامج للتربية الخاصة، كما تم اعادة هيكلة مركز الدراسات التربوية وتفعيل نشاطاته بقوة. وتركت عمادة هذه الكلية وقد أصبحت رائدة لكل الكليات المناظرة بمصر والعالم العربى، وبعد أن استقرت وأصبحت من الكليات المهمة بالجامعة.

تلك هى قصة هذه المناصب الإدارية العليا بالجامعة التى أنهيتها برئاسة قسم الفلسفة للدورة الثالثة التى طبق فيها لأول مرة نظام الانتخاب من الزملاء أعضاء القسم.

تتبنون وجهة النظر القائلة بأسبقية الفكر الشرقى القديم وتهافت مقولة «المعجزة اليونانية» وأن الفكر الشرقى القديم هو منبع سائر النظريات اللاحقة فى الابستمولوجيا والاكسيولوجيا وكافة النظريات الأنطولوجية. فما هى مبرراتكم الحقيقية لهذا الاتجاه رغم معارضة الكثيرين من الباحثين لوجهة نظركم هذه؟ وفى ضوء ذلك هل من الممكن أن يستعيد الشرق الريادة مرة أخرى؟ أم أن التاريخ لا يعيد نفسه كما قال هيجل؟

هذا سؤال مركب ينبغى الاجابة على عناصره عنصرا بعد أخر؛ فبالنسبة لقضية رفض المعجزة اليونانية، فالمسألة تعود إلى بدايات بحثى فى موضوع الألوهية عند أفلاطون حيث وجدت أن معظم عناصرها، بل معظم عناصر الفلسفة الأفلاطونية تعود إلى الفكر الشرقى القديم وخاصة فى مصر والهند وفارس، ومن ثم رسخ لدى الاعتقاد بأن نشأة

الفلسفة انما تعود إلى الشرق وليس إلى بلاد اليونان، وأذكر أن أول بحث كتبته بعد الحصول على الدكتوراه كان بعنوان «خرافة المعجزة اليونانية» ونشر فى المجلة العلمية لكلية الآداب بجامعة القاهرة تحت عنوان «المعجزة اليونانية بين الحقيقة والخيال»، وواصلت الاهتمام بهذا المجال الحيوى وظهرت لى فى ذلك عدة أبحاث تضمنها كتابى «نحو تأريخ جديد للفلسفة القديمة ـ دراسات فى الفلسفة المصرية واليونانية» ثم تبلورت رؤيتى أكثر فكان كتابيى «نحو رؤية جديدة للتأريخ الفلسفى باللغة العربية» و«المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية». وبدأ ظهور التطبيق العملى لهذه الرؤية فى كتاب «مدرسة الاسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقى والفلسفة اليونانية» ثم الأجزاء الأربعة التى توالى ظهورها من ١٩٩٨ حتى ٢٠١٣م تحت عنوان «تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقى» وقد كشفت فيها بوضوح عن الأصل الشرقى لمعظم أفكار فلاسفة اليونان من فلاسفة ملطية حتى فلاسفة الرواق فى حوالى ١٦٠٠ صفحة.

أما مبررات هذه الرؤية وتطبيقاتها التى عرضت بالتفصيل فى هذه المؤلفات فتستند أولا على بديهية أنه لا يمكن أن يكون أحد أنماط التفكير العقلى عند الإنسان وهو التفكير الفلسفى قد غاب عن كل البشر إلى أن جاء به اليونانيون فى القرن السادس قبل الميلاد بينما التاريخ المكتوب للحضارات الشرقية القديمة يعود إلى القرن الأربعين قبل الميلاد. وثانيا فإن الفكر الفلسفى من العمومية والشمول بحيث لا يمكن أن نقصره على المعنى الضيق الذى حدده له أرسطو وأرخ للفلسفة اليونانية على أساسه وهو أنها البحث النظرى المجرد فى حقيقة الوجود والتحليل

المنطقى والنقدى لقضايا العلم والإنسان!. وثالثا لأن الاحتجاج بنقص الوثائق وعدم المعرفة باللغات الشرقية القديمة أصبحت حججا واهية فى ظل المعرفة التى نملكها الآن بكل هذه اللغات ومن ثم توافر الوثائق التى تكتشف عاما بعد عام لتأملات فلاسفة الشرق القديم وابداعاتهم التى يمكن من خلالها التأريخ لفلسفات الشرق القديم. وقد سبقنا إلى ذلك العديد من المؤرخين الغربيين وأعتقد أنه من العيب أن نظل نعتمد على تأريخهم وتحليلاتهم دون أن نقدم شيئا فى هذا الاتجاه؛ فما لدينا الآن من تراث هائل اكتشفه علماء الآثار فى مجال الفكر المصرى أو البابلى القديم يحتاج منا التوقف عنده وتحليله وربما نكون أقدر على ذلك من المؤرخ الغربى؛ وقد تبين لى شخصيا أهمية ذلك حينما بحثت مثلا فى الفكر السياسى المصرى القديم ووجدت أن معظم ما نعرفه أو نتصوره عن ذلك خرافات وأضاليل؛ فالحاكم المصرى القديم (الفرعون) لم يكن الها ولم يكن مستبدا، بل كان انسانا ملتزما بالقانون احترم شعبه فاحترمه شعبه لدرجة القداسة أو انحرف عن ذلك فثار عليه الشعب! لقد أدهشنى مثلا كم أخطأنا فهم قصة القروى الفصيح خوان انبو حينما اتخذناها دليلا على استبداد الحاكم بينما التأمل الدقيق والقراءة الموضوعية للقصة تؤكد كم كان الملك المصرى عارفا بأحوال شعبه وكم كان حرصه على تطبيق القانون واحترام حقوق الإنسان! وقد بينت كل ذلك وغيره فى كتابى «الخطاب السياسى فى مصر القديمة» وكذلك فى كتاب «الفكر الفلسفى فى مصر القديمة». وعموما فيكفى الآن أن نعلم أن أخر ما توصلت اليه فى هذا الاتجاه أن لفظة فلسفة التى درجنا على أن نردد أنها كلمة يونانية من مقطعين هما PHILO, SOPHIA وتعنيان محبة الحكمة، انما هى فى واقع الحال من أصل مصرى قديم؛ فقد قال أفلاطون فى

محاورة كراتيلوس أن كلمة SOPHIA من أصل غير محلى، وقد أكد مارتن برنال ذلك فى كتابه «آثينا السوداء» حينما قال دون أن يشير إلى أفلاطون أن هذه الكلمة أصلها هيروغليفى وقد نقلت إلى اليونان. وبالطبع فنحن نعرف من قبل أن أول من قال بها هو فيثاغورث وذلك عقب زيارته إلى مصر التى ثبت من النقوش المصرية القديمة أنها استمرت لأكثر من عشرين عاما.

أما عن العنصر الثانى من سؤالك الخاص بامكانية عودة الشرق للريادة الحضارية من جديد، فهذا فى رأى أمر لاشك فيه رغم أنف هيجل الذى تصور أن مسيرة التاريخ المظفرة قد توقفت عند عصره وتحقق المثل الأعلى للانسانية فى المانيا، وأن الشرق خارج التاريخ قديما وحديثا!؛ فالتاريخ لم يبدأ من اليونان قديما كما ادعى وهو لن يتوقف عندهم الآن؛ لأن كل التنبؤات لدى فلاسفة التاريخ والحضارة تشير إلى أن الدورة الحضارية الجديدة انما ستكون دورة شرقية بقيادة الصين وتحقق هذه النبؤة لن يتجاوز عام ٢٠٣٠م، وأنا شخصيا قد أكدت ذلك فى كتابى «مابعد العولمة ـ قراءة فى مستقبل التفاعل الحضارى» الذى صدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٣م. وها نحن نشاهد أولى ملامح ذلك فى التقدم المذهل الذى تحققه الصين فى كل المجالات ومعها بالطبع جاراتها الآسيويات وخاصة الهند والنمور الاسيوية الأخرى، ولنا أن نتخيل اللحظة التى ستتوحد فيها الرؤية بين الصين واليابان حال خروجها من عباءة الحماية الأمريكية! انها ستكون اللحظة التى ستنقل مركز الثقل من أمريكا والغرب إلى الشرق الآسيوى. وقد قلت فى ذلك الكتاب أن علينا أن نستعد من الآن إلى مرحلة ما بعد العولمة أى إلى مرحلة ما بعد الهيمنة

الأمريكية، فما إن تبدأ هذه المرحلة سيسود الوئام والعلاقات الدولية المتوازنة، ومن ثم سيتاح للعالمين العربى والاسلامى سبل الاستقرار ويتهيأ المناخ المناسب للنهضة الحقيقية بمساعدة التكنولوجيات الشرقية التى ستكون آنئذ هى الأكثر تقدما، وبدون هذه المعوقات التى عادة مانعانى منها الآن فى ظل النظام العالمى القائم الآن والذى توجهه الولايات المتحدة لمصلحتها ولمصلحة ذلك الكيان الصهيونى المزروع عنوة فى المنطقة العربية!!

وعموما فإن الشرق قادم لا محالة ودورانية التاريخ لا تعنى أبدا العودة إلى الوراء بل تعنى فى اعتقادى تبادل الأدوار القيادية بين الشرق والغرب لصالح التقدم الإنسانى عموما. والناظر لحركة التاريخ بموضوعية يتأكد له أن الدورات التى قادها الشرق كان بها الخير العميم للبشرية ولم يسد فيها التعصب والتمييز الذى ساد فترات السيادة الحضارية للغرب سواء فى الزمن القديم فى العصر اليونانى والرومانى أو فى العصر الحديث، وليست هذه رؤيتى وحدى بل هى أيضا الرؤية التى عبر عنها روجيه جارودى فى كتابه «حوار الحضارات».

يظن الكثيرون من أبناء الأمة العربية والإسلامية أن الفلسفة لا جدوى منها، وذلك لما لحق بها من سوء السمعة التى تسمها بالإلحاد، فكيف ترون علاقة الفلسفة بالدين؟ بحيث يمكن إكمال الرؤية لتصحيح تلك الأغلوطة، وما هو المسار الصحيح لتجديد الخطاب الدينى السائد؟

الحقيقة التى أود الاشارة اليها فى الاجابة على هذا التساؤل هى أنه مما يراد بنا أن نلغى العقل ونتوقف عن التفكير الفلسفى بل عن التفكير عموما ونبقى دوما فى طور التبعية مكتفين بالتلقى!! وهذا أخطر ماينبغى

أن ننتبه اليه ونعمل على تصحيحه وخاصة بعد شيوع عبارة «بلاش فلسفة» وشيوع الربط بين الفكر والهم لدرجة أن تدعو الأم فى بلادنا لإبنها قائلة له: «ربنا يكفيك شر الفكر»!!

وبالطبع فأنا لا أعفى أساتذة الفلسفة والمفكرين العرب من المسئولية لأن ما يقرأه الناس من مؤلفات فلسفية يغلب عليها التعقيد والتنظير الاصطلاحى ومن أراد منهم التجديد أغرق القارئ فى قضية الأصالة والمعاصرة وهى قضية زائفة بحلولها الثلاثة المطروحة بما فيها الحل التوفيقى، بينما الناس تحتاج لمعرفة الدور الحقيقى الذى يمكن أن تلعبه الفلسفة فى الواقع وتحسين حياة الناس وحل مشاكلهم. وبالنسبة لى شخصيا فقد أدركت هذه المشكلة بعمق وحاولت ولاأزال أحاول تغيير هذه الصورة التى استقرت فى الوعى العربى عن غرابة الفلسفة وعدم جدواها؛ وقد كان من أوائل ما كتبت فى هذا الصدد سلسلة مقالات تحت عنوان «فلاسفة أيقظوا العالم» فى مجلة «القاهرة» التى كانت تصدر أسبوعية عن هيئة الكتاب، وفى الوقت الذى لاقت فيه هذه المقالات المزيد من الاستحسان والمتابعة ألغيت المجلة الاسبوعية وتحولت لمجلة شهرية يغلب عليها الطابع الأدبى، مما دعانى إلى استكمال هذه السلسة واصدارها بعد ذلك فى كتاب حمل نفس العنوان طبع حتى الآن سبع طبعات وأعتقد أن السر فى انتشاره والإقبال عليه هو أنه يعرض بأسلوب مبسط لأفكار هؤلاء الفلاسفة الذين كان لأفكارهم صدى مباشر وأثروا تأثيرا حقيقيا فى مجتمعاتهم وهو يركز على بيان كيف أن هذه الأفكار لهؤلاء الفلاسفة نبعت من خلال المشكلات الحياتية التى واجهتهم وواجهت مجتمعاتهم مما يعنى ببساطة أن الفلسفة فى كل العصور لم تكن إلا مرآة

للعصر وكاشفة عن مشكلاته وهى التى قدمت الحلول التى ساهمت فى تقدم هذه الشعوب وازدهارها. وكم يسعدنى أن يعلق أحد القراء سواء من المثقفين الجامعيين أو من عامة القراء قائلا: أهذه هى الفلسفة وهذا هو دورها!! إننى لم أفهم الفلسفة ودورها فى صنع تقدم البشر إلا من خلال ماقرأته فى هذا الكتاب. ومن جانب آحر فقد حاولت ولاأزال أحاول تحويل الدرس الفلسفى ناحية الفلسفة التطبيقية؛ حيث عقد أول مؤتمر عربى دولى أثناء رئاستى للقسم عام ٢٠٠٤م عن الفلسفة التطبيقية ونشرت أعماله فى الكتاب الذى حررته بعنوان «الفلسفة التطبيقية لخدمة قضايانا القومية فى ظل التحديات المعاصرة» عام ٢٠٠٥م. وبناءا عليه صممت برنامجا للحصول على ليسانس الفلسفة التطبيقية بنظام التعليم المفتوح عام ٢٠٠٦م وكذلك صممت برنامج للحصول دبلوم فى الدراسات العليا فى الفلسفة التطبيقية بالقسم يكون مؤهلا للحصول على درجتى الماجستير والدكتوراه فى نفس المجال. وقد تم تفعيل هذه البرامج ففتحت المجال لكل من يرغبون فى دراسة الفلسفة والتعرف على دورها فى وضع الحلول البينية لكل ماتعانى منه مجتمعاتنا من مشكلات أخلاقية أو سياسية أو دينية أو تكنولوجية، وفى هذا الإطار أيضا صممت برنامجا للحصول على دبلوم الدراسات العليا بنظام التعليم المفتوح فى «الفلسفة السياسية» وقد تمت الموافقة عليه وستبدأ الدراسة فيه مطلع العام الدراسى القادم ان شاء الله. ولاشك أن هذه البرامج وأمثالها يمكن أن تساعد فى النزول بالدرس الفلسفى من أفاقه النظرية المجردة إلى المساهمة فى حل المشكلات الحياتية للناس وتحسين جودة الحياة لهم. ومن ثم تتغير نظرتهم التقليدية الرافضة للفلسفة إلى ممارسة التفكير الفلسفى والحرص على قراءة ما يكتبه الفلاسفة والتفاعل مع.

فقط علينا كمتخصصين فى الفلسفة أن نحرص على التعبير عن الأفكار الفلسفية بلغة سهلة يفهمها الناس. ولنا فى استاذنا الدكتور زكى نجيب محمود رحمه الله أسوة حسنة حيث كان يكتب فى أعقد القضايا الفلسفية بأسلوب بسيط يفهمه الناس لدرجة أنهم كانوا يتابعون مقالاته الفلسفية المطولة فى «الأهرام» كل ثلاثاء لدرجة قيل معها أن توزيع الأهرام كان يرتفع فى هذا اليوم بالذات لحرص القراء على متابعة المقال الأسبوعى لهذا الفيلسوف العظيم الذى ساهم بهذه المقالات فى نشر الفكر العلمى والعقلانى والاهتمام بالفلسفة فى ربوع الوطن العربى.

أما عن علاقة الفلسفة بالدين، فأنا دائما أجيب عن هذا التساؤل بعبارتين إحداهما للامام الغزالى وهو صاحب احياء علوم الدين، تلك التى يقول فيها: إن العقل أس الشرع ومالم يكن أس لم يكن بناء، وتلك التى يقول فيها: من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر بقى فى العمى والضلال!. أما العبارة الأخرى فهى لابن رشد، تلك التى يقول فيها: إن الحق لا يضاد الحق. إن الين والعقل معا من عند الله،فهو الذى أعطانا العقل الذى به نفكر ونهتدى وهو الذى أنزل الينا الوحى ربما لنزداد يقينا على يقين بأن ما توصلنا إليه من خلال العقل عبر التاريخ الفلسفى للايمان من اخناتون حتى الآن إنما هو حق وأن الله موجود وواحد، وكل ما هنالك أن الوحى قد رسم للمؤمنين به الطريق القويم للحياة الاجتماعية السليمة عبر الأوامر والنواهى الشرعية.

إن الخطاب الدينى الذى لا يتخذ من العقل هاديا ولا يتخذ من صحيح الدين مرجعا انما هو خطاب فاسد لا يستهدف وحدة الأمة بقدر ما يعمق الانقسام والفرقة وبقدر ما يزرع نبتة الصراع ويغذى التطرف

والتعصب. وللأسف فهذا هو نمط الخطاب السائد الآن، فليس لدينا هذا النمط من الخطاب الدينى العقلانى المعتدل الحريص على وحدة المسلمين ووسطية الدين.!! إن لدينا عشرات الألوان من الخطاب الدينى وكل لون يصطبغ بطابع أصحابه ويعبر عن مصالحهم الآنية الضيقة؛ فلدينا الخطاب الشيعى بألوانه المتعددة الايرانى والحوثى والعراقى.. الخ. ولدينا الخطاب السنى بألوانه المختلفة الإخوانى والوهابى والسلفى السياسى والسلفى الجهادى.. الخ.

وحينما تخلص النوايا وتتحد الارادات ويعمل الكل لمصلحة الأمة ونصرة الدين بحق سيكتشفون ـ كما قلت فى كتابى الأخيرين «الأورجانون العربى للمستقبل» و«مدخل جديد إلى فلسفة الدين» ـ أن أسس العقيدة الدينية واحدة عند الجميع وأن عوامل وحدتهم والمشترك بينهم هو الأغلب بينما ما بينهم من اختلافات فى الرأى والتفسير انما هى اختلافات لا تمثل واحد فى الألف! وهى بعيدة عن جوهر العقيدة وحينئذ سيندمون أشد الندم على ما ضيعوه من وقت فى الصراعات والحروب فيما بينهم! وكم أتمنى أن تفيق عموم الأمة لتوقف نزيف الدماء وتتحد للقضاء على هذه العصابات المأجورة التى تتخذ من الدين ستارا لتحقيق هدف أعداء الأمة بأيدى بعض الجهلة والمأجورين من أبنائها تحت دعاوى واهية سواء كانت سياسية أو دينية! إن الأمة مهددة تهديد وجود وعلى حكامها وحكمائها ومثقفيها أن يفيقوا ويعوا تهديد الوجود الذى نحن بصدده الآن وليعمل الجميع على اعادة الخطاب الدينى والسياسى المعتدل الذى يحقق مصلحة الجميع دون تمييز ودون تعصب. فليكن نظامنا السياسى فى أى دولة عربية واسلامية ما يكون وينبغى احترام ما

ارتضته الشعوب، وفى ذات الوقت علينا التوحد بالقدر الذى يمكننا من مواجهة تحديات التنمية وتحقيق التقدم لشعوبنا وفى ذات الوقت يجعلنا محصنين ضد كل أنواع التدخل الخارجى الذى لم ولن نجنى من ورائه إلا الخراب والتدمير فضلا عن بث الفرقة وضياع المصالح وفقدان الفرصة الأخيرة للمشاركة المستقلة فى ركب التقدم الحضارى.

لديكم مؤلف شهير بعنوان «العلاج بالفلسفة» فهل ثمة علاج يمكن أن تقدمه الفلسفة للإنسان فى ظل تفاقم مشكلاته السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والبيئية...الخ.

إن هذا التساؤل ليس بعيدا عن التساؤل السابق؛ لأن اهتمامى بالعلاج بالفلسفة والكتابة فى هذا الإطار انما هو الامتداد الطبيعى للاهتمام بالفلسفة التطبيقية، فقد حاولت فى هذا الكتاب الذى أشرتم اليه وفى غيره من الكتب مثل «ثقافة التقدم وتحديث مصر» و«بين قرنين ـ معا إلى الألفية السابعة» و«ثورة الشباب والجمهورية الثانية» و«من الثورة إلى النهضة»، فضلا عن مؤلفاتى المختلفة فى مجالات الفلسفة التطبيقية مثل «حقوق الإنسان المعاصر بين الخطاب النظرى والواقع العملى» و«ضد لعولمة» و«ما بعد العولمة ـ قراءة فى مستقبل التفاعل الحضارى» و«مدخل إلى الفلسفة السياسية والاجتماعية» و«مدخل إلى فلسفة البيئة والمذاهب الايكولوجية المعاصرة» و«فى فلسفة الحضارة ـ جدل الأنا والآخر نحو بناء حضارة انسانية واحدة» و«فى فلسفة التعليم ـ نحو اصلاح الفكر التربوى العربى للقرن الحادى والعشرين» و«فى فلسفة الثقافة والنقد الثقافى» و«فلسفة التاريخ»، وكذلك فى المقالات التى تنشر فى جريدة الأهرام أو غيرها من الصحف والمجلات، حاولت بيان كيف أننا

بالفلسفة وبالنظرة الفلسفية الشاملة يمكننا علاج الكثير من المشكلات التى نعانى منها سواء كانت مشكلات تعليمية أو علمية أو سياسية أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية.. الخ.

من خلال اهتمامكم اللافت بالفيلسوف اليونانى أفلاطون وفلسفته، كيف ترون مقولة فيلسوف العلم المعاصر «وايتهد»: «إن تاريخ الفلسفة الغربية ما هو إلا مجموعة من الهوامش على الفلسفة الأفلاطونية»؟ وأين إذن يمكننا أن نضع فلسفة أرسطو التى سيطرت على الفكر العالمى لمدة عشرين قرنا من الزمان أو تزيد؟ وما هى علاقة تراثنا الإسلامى بأفلاطون؟ وهل يمكن للفكر العربى المعاصر بناء وحدة عربية مثلما حلم أفلاطون بالوحدة اليونانية؟

بالنسبة للشق الأول من السؤال الخاص بمكانة أفلاطون فى الفكر الفلسفى؛ فأنا مع مقولة وايتهيد حيث إن الفلسفة الغربية منذ أرسطو حتى الآن أشبه بالهوامش وما ذلك إلا لأن الفلاسفة الذين جاءوا بعد أفلاطون بما فيهم تلميذه أرسطو قد تتلمذوا على فلسفته، فهو صاحب أول مذهب فلسفى متكامل وهو الذى وضع الأسس الأولى للفلسفة المذهبية التى يدور فيها مذهب الفيلسوف حول فكرة جوهرية واحدة تكون بمثابة المفتاح الذى يحلل بها المشكلات ويحلها، ولقد كانت هذه الفكرة عند أفلاطون هى فكرة «المثال» كما كانت عند أرسطو «التمييز بين المادة والصورة أو الوجود بالقوة والوجود بالفعل «ولو دققت النظر لوجدت أن الجديد عند أرسطو ومزجه بين المادة والصورة انما كان انطلاقا من تحليلاته النقدية لمذهب أفلاطون ومن ثم فقد كانت فلسفة أرسطو ـ وهو الذى تتلمذ على أفلاطون أكثر من عشرين عاما متصلة

ـ رد فعل لمذهب أستاذه فى المقام الأول. فضلا عن أن الدارس المدقق لفلسفة أرسطو وخاصة فى السياسة والأخلاق وحتى الفن سيكتشف أن الكثير من عناصرها ترتد إلى أفلاطون؛ اذ رغم محاولة أرسطو فيها المزج بين الواقع والمثال، إلا أنه مال فى النهاية إلى نوع من المثالية العقلانية التى كانت هى الطابع العام لفلسفة أفلاطون، ولم يختلف أرسطو عن أفلاطون صراحة إلا فى نزعته الاستقرائية التجريبية فى فلسفة الطبيعة وفى دراساته فى علوم النفس والأحياء. والخلاصة أنه اذا كان أفلاطون وتلميذه أرسطو قد اقتسما التأثير على تاريخ الفلسفة اللاحق عموما وكانت فلسفة أرسطو هى بوجه أو بآخر رد فعل لفلسفة أفلاطون، فإن تاريخ الفلسفة عموما إنما هو تعليقات متتالية على المذهب الأفلاطونى. ومن ثم فهو لا يفهم حق الفهم إلا انطلاقا من فهم هذا الفيلسوف العظيم، أفلاطون.

أما عن حكاية سيطرة أرسطو على الفكر العالمى لأكثر من عشرين قرنا فهى تعود إلى ظروف تاريخية حيث إن فلسفة الطبيعة عند أرسطو وتأكيده على أن الأرض هى مركز الكون وأن الإنسان بالتالى هو الكائن الأهم والأرقى فى هذا الوجود قد لاقت صدى عند المفسرين والشراح وخاصة من فلاسفة المسيحية وقساوستها لدرجة أنهم اعتبروا أن الخروج على أرسطو فى هذه الأراء يعد خروجا على المسيحية نفسها ومن ثم اكتسبت أراء أرسطو العلمية قداسة، فكان من الصعب التشكيك فيها والخروج عليها حيث كان يتهم من يفعل ذلك بالكفر والالحاد، إلى أن جاء العلم الحديث فغير هذه الصورة واستطاع العلماء والفلاسفة فى النهاية نقد العلم والفلسفة الآرسطيين وتقديم العلوم والفلسفات

الجديدة بعيدا عن التأثر بأراء أرسطو ونظرياته وخاصة التى أثبت العلم الحديث خطأها.

أما عن علاقة تراثنا العربى والاسلامى بأفلاطون فتتلخص فى اعتقادى بأن أفلاطون كان صاحب التأثير الأكبر على التراث الفلسفى الإسلامى بينما كان أرسطو صاحب التأثير الأكبر على الصعيد العلمى. وفى اعتقادى أن أفلوطين الفيلسوف المصرى السكندرى كان صاحب الفضل الأول على هذين الفيلسوفين فى علاقتهما بالفلسفة الاسلامية حيث كان لترجمة أجزاء من تاسوعاته ونسبتها خطأ إلى أرسطو تحت عنوان «أثولوجيا أرسطوطاليس» على يد عبد المسيح بن ناعمة الحمصى أثرا كبيرا جدا فى التراث الفلسفى الإسلامى، فلقد حدث من خلال هذا الكتاب أن كتب الفارابى كتابه الشهير «التوفيق بين رأيى الحكيمين أفلاطون وأرسطو» موضحا أنه لاخلاف بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو وانتهى إلى أنه لا تعارض بين فلسفتيهما فى الوجود والألوهية وبين الإسلام. وفى اعتقادى الشخصى أننا لو أخذنا هذا الخطأ غير المقصود من المترجم فى الاعتبار لأدركنا أن صاحب التأثير الأعظم على التراث الفلسفى الإسلامى وخاصة فى مجال الإلهيات انما هو أفلوطين وليس أفلاطون أو أرسطو؛ حيث إن التأثر على سبيل المثال بنظرية الفيض الأفلوطينية هو ما جعل الفارابى وابن سينا يقعان فى شبهة القول بقدم العالم التى عابها عليهم الغزالى!

أما عن الشق الثالث من سؤالك الخاص بمدى امكانية الدعوة إلى وحدة عربية كما دعى أفلاطون إلى وحدة بلاد اليونان؛ فالحقيقة أن أفلاطون كما كان تلميذه أرسطو من أنصار نظام دولة المدينة المثالية وليسا

من أنصار الدول الكبرى، والثابت أن أرسطو وقد كان مربيا للإسكندر عارضه فى تشكيل الدولة الكبرى وكتب له حين بدأ سلسلة غزواته لبلاد الشرق رسالة «فى الاستعمار «حذره فيها من غزو هذه البلاد العريقة ذات التاريخ الطويل والحضارة الممتدة على اعتبار أنه كان يخشى من ضياع تميز الحضارة اليونانية وذوبانها فى حضارة الشرق!

لكن بالنسبة لنا فالأمر مختلف؛ فعوامل الوحدة والتآلف أكثر من عوامل الفرقة والتشتت وأنا شخصيا وربما معظم المثقفين العرب وكذلك معظم الشعب العربى يتمنون الوحدة ويعرفون ما يمكن أن تحققه للعرب من قوة، لكن ربما كانت التجربة الوحدوية فى عهد عبد الناصر وسرعة فشلها هوما يلقى بظلاله السلبية حتى الآن، كما أن النظام العربى الذى تمثله الجامعة العربية وفشلها فى مواجهة التحديات العربية وعجزها عن التعامل مع كل الأزمات التى واجهت العرب منذ نشأة هذه الجامعة حتى الآن يلقى أيضا بظلاله السلبية على نفس الموضوع!

ومع ذلك فأنا أرى أن الوقت قد حان لتجاوز فشل التجربتين معا، وذلك ممكن بالدعوة إلى قيام اتحاد للدول العربية على غرار الاتحاد الأوربى وبناء على التجربة الاتحادية الناجحة لدولة الإمارات العربية المتحدة والتى ربما تسير فى الطريق إلى توسيعها كل دول الخليج العربى عبر منظمتهم الاقليمية «مجلس التعاون الخليجى» التى تسير من نجاح إلى نجاح. والحقيقة أننى عبرت عن هذا الأمل فى قيام هذه التجربة الاتحادية بين الدول العربية كبديل للجامعة العربية ودعوت إليها كأحد ركائز النهوض العربى الذى نتمناه ونسعى إليه فى كتابى «الأورجانون العربى للمستقبل» على أساس أن تبقى الدول العربية كما هى بنظمها السياسية

والادارية على أن تقوم فيما بينها دولة اتحادية تتشارك فيها هذه الدول جميعا أو من يقبل بالدخول فيها من البداية التأسيسة، فيكون لهذه الدولة رئيسا يمكن اختياره من بين الزعماء العرب الذين يشكلون المجلس الرئاسى للدولة الاتحادية بحسب اللائحة الأساسية التى سيقرروها هم، ويكون لها مجلس وزراء يتشكل أيضا حسب الكفاءة من بين كل الدول الأعضاء فى الاتحاد ومن ثم تتشكل مجالس وزارية عربية متخصصة يرأسها هذا الوزير الاتحادى للدفاع أو للتعليم أو للصحة أو للاقتصاد وهكذا.. وتكون قرارات هذا المجلس الاتحادى نافذة على كل الأعضاء سواء على المستوى الرئاسى أو على المستوى الوزارى. وأعتقد أن الكثير من الدول والشعوب العربية أصبحت مؤهلة ـ بعد كل ما نشاهده الآن على الساحة العربية من صراعات وحروب وتخريب وتشرذم وضعف مذل ـ للدخول فى هذه التجربة الاتحادية المقترحة حيث سيكون للعمل العربى المشترك فى اطارها جدوى وسيكون للقرارات الاتحادية دورا مؤثرا فى حل المشاكل العربية فى جميع المجالات فى ضوء العمل على الاستغلال الأمثل للموارد العربية لصالح كل عربى يعيش على الأرض العربية. وحينئذ ستزول الحواجز المصطنعة بين الدول العربية شيئا فشيئا ويتعرف العرب على قوتهم الحقيقية فى هذا العالم الذى لم يعد يعترف إلا بالكيانات القوية القادرة على أن تكفى نفسها وتدافع عن وجودها بنفسها!

ترون أن عملية الإصلاح والتحديث يجب أن تبدأ من التحديث الثقافى على وجه الخصوص، ثم تبنى ثقافة التقدم والبعد عن ثقافة التخلف؟ لما؟ وكيف؟

نعم فأنا لازلت أرى أن التقدم والتحديث يبدأ من التحديث الثقافى،

لأن التغيير لايمكن أن يتم إلا عبر الناس وطالما أننا لانزال مجتمعا فيه هذه النسبة الهائلة من الأمية سواء الأمية الأبجدية أو الأمية الثقافية فإن تقبل الخطط التحديثية سواء على الصعيد الاقتصادى أو السياسى يصبح أمرا صعبا وغير مأمون العواقب؛ وأذكر لك هنا موقفا تم عقب نشر مقالة لى فى الأهرام بعنوان «الإصلاح الثقافى أساس التحديث «حيث اتصل بى وكيل وزارة الاقتصاد شاكرا على هذه المقالة التى كشفت له عن أحد أسرار فشل السياسات الاقتصادية، فالاقتصاديون على حد قوله يرسمون مخططاتهم الاقتصادية بشكل علمى دقيق لكنهم لا يحصدون النتائج المتوقعة لأن الناس لا يتلقون ولا يتفاعلون مع هذه السياسات بالشكل المتوقع والمطلوب، فالناس فى بلادنا لا يزالون بعيدين عن ثقافة العمل الحر وعن تقبل قيم المجتمع الرأسمالى بالشكل الذى نجده فى الغرب. وعلى ذلك فإن التحول من ثقافة الأمية والتخلف إلى ثقافة التقدم وقيمها ضرورة حتمية. وهذا لا يمكن أن يتم إلا بنظام تعليمى متطور يمنع التسرب ويركز على التعلم المستقل والابداعى، ولا يمكن أن يتم أيضا إلا بتضافر دور الأجهزة الثقافية العامة والدينية لتطوير وتحديث الخطاب الثقافى والدينى وتغيير القدوة فى مجتمعاتنا حتى يصبح للعلم والعلماء المكانة السامية فى المجتمع وتتوفر البيئة والمناخ العلمى المناسب للنهوض بالمجتمع فى كافة المجالات استنادا على جهود علمائنا وباستخدام التكنولوجيا المناسبة للبيئة المحلية. وعموما فقد درست هذا الموضوع بالتفصيل فى كتابى «فى فلسفة الثقافة والنقد الثقافى» وأوضحت الفرق بين ثقافة التخلف وثقافة التقدم، ثم بينت كيف يمكن أن يحدث التحول من ثقافة التخلف إلى ثقافة التقدم عبر أربعة أسس هى: ١ ـ توافر الارادة السياسية للتحول نحو ثقافة التقدم ٢ ـ اصلاح النظم التعليمية

بشكل جوهرى وتغيير فلسفة التعليم ٣ ـ الدعم اللامحدود للبحث العلمى ونشر الثقافة العلمية بكل الوسائل ٤ ـ اعادة بناء الثقافة العربية المعاصرة من خلال الاحياء اللامحدود لعناصر التراث العربى الإسلامى وفى نفس الوقت الانفتاح التام على الثقافة الغربية المعاصرة وترجمة كل منتجها إلى اللغة العربية فور صدوره.

وبالطبع إذا توافرت الارادة السياسية للحكام والحكومات العربية وعملت مع أجهزتها الإداريـة والتنفيذية ومنظمات المجتمع المدنى بالتضافر مع الجهود الشعبية على التوازى فى الأمور الثلاثة السابق الاشارة اليها، أؤكد لك أن مجتمعاتنا العربية ستكون بحق على طريق التحول من ثقافة التخلف والتبعية إلى ثقافة التقدم وتحقيق الرخاء للشعب العربى كله.

وما هى وجهة نظركم للخروج من المأزق السياسى الحالى ورأب الصدع بين الشعوب العربية خاصة بعد التطورات الراديكالية الأخيرة فى ثورات الربيع العربى، وما هى طبيعة العقد الاجتماعى الجديد الذى تنادون به كعلاج ناجع للمشكلات السياسية فى البلاد العربية.

فى اعتقادى أن السبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق يتمثل فيما أشرت اليه فى الجزء السابق من الحوار حول قيام اتحاد الدول العربية حيث سيكون حال قيامه الأداة القادرة على مواجهة الأزمات العربية دون الاستعانة بالدول الغربية أو الهيئات الدولية التى تعمل كلها حتى الآن وفقا لإرادة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها الأوربيات، وكلنا يعلم مدى انحياز هذه الدول وكيف أنها تدير السياسة الدولية وفقا لمصالحا وبمعايير أقل ما توصف به أنها معايير مزدوجة وغير عادلة

ولا منصفة، ولذلك فإن هذا الاتحاد سيكون هو الدعامة القوية التى تقوى الموقف العربى فى المحافل الدولية ويجبر العالم على احترام الارادة العربية الموحدة.

ولعلنا نطالب فى هذا الصدد بعقد اجتماعى عربى جديد تكون أهم بنوده ما يلى:

احترام النظم السياسية العربية القائمة طالما هى اختيار شعوبها.

العمل على توحيد الصف العربى برسم سياسات وحدوية تراعى على الأقل الحد الأدنى من المصلحة العربية المشتركة.

انشاء اتحاد الدول العربية بالشكل الذى تحدثنا عنه سابقا، لأنه يمثل ما تطمح اليه بحق الشعوب العربية ولا يقف فى سبيله إلا المصالح الأنية الضيقة للحكام والنظم السياسية العربية.

بناء خطة النهوض العربية بداية على مسلمتين بسيطتين هما: (أ) أن كل الأيادى يجب أن تعمل (ب) أن كل عربى يجب أن يجد قوت يومه بكرامة.

وفى اعتقادى أن تنامى الوعى العربى والتهديدات الفعلية التى تواجه الدول العربية الآن بحكامها وشعوبها ينبغى أن تدفعنا دفعا إلى الاسراع باقرار بنود هذا العقد والتفاعل مع ماورد فيه، فهو مجرد أفكار قابلة للأخذ والرد والتعديل، لكن المهم أن نبدأ الآن حتى لاتدهسنا عجلة التاريخ ونندم بعد أن يكون وقت الندم قد فات.

ترون زيف المشكلة التى اتخذت مسميات مختلفة من قبيل (الأصالة والمعاصرة ـ الوافد والموروث ـ الأنا والآخر) فما هى حقيقة رؤيتكم لهذه

المشكلة ولماذا تبدو لكم على أنها مشكلة زائفة لا معنى لها على الرغم من وجود كتابات كثيرة لكبار مؤلفينا حولها؟

الحقيقة أننى أرى أن أحد أهم أسباب التخلف العربى منذ فجر نهضتنا الحديثة وحتى الآن وبعد مرور قرنين من الزمان، انما هى تلك الثنائية التى ابتدعناها وعمقها الاصلاحيون العرب فى إطار ما أطلق عليه «مشكلة الأصالة والمعاصرة «بمسمياتها المختلفة؛ وذلك لأن إثارة هذه المشكلة على هذا النحو ثنائى الأطراف أو حتى ثلاثى النظرة لدى دعاة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، لم ينجح فى نقلنا خطوة إلى الأمام لأن هذه الخطوة كان يقف أمامها ولايزال فى ظل هذا الطرح التساؤل التالى: من أين نبدأ؟! هل من التراث أم من العصر الذى نحيا فيه؟! هل من العودة إلى احياء التراث وبأى شكل سيكون هذا الاحياء وهل لابد أن يكون هذا الاحياء انتقائيا كما يقول دعاة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة بحيث نحيى فقط العناصر التى تتوافق مع قيم العصر الحاضر وخاصة العقلانية والعلمية، أم من قطع العلائق والقطيعة مع التراث والأخذ بكل قيم العصر الحضارية وبدون أى التفات إلى الوراء، أى بدون الاهتمام بالدين وبعناصر الهوية التراثية لأن قيم العصر الغربية قد تجاوزت كل ذلك وأحدثت تقدمها بالتركيز على العقل والعلم فقط؟!!

إن هذه التساؤلات ومثيلاتها كانت ولا تزال منذ رفاعة الطهطاوى وإلى الآن هى جوهر ما يسمى بالمشاريع الفكرية العربية، وأنا أتصور أنها تساؤلات مشروعة لكن الاجابات عليها فى تلك المشاريع الفكرية المتعارضة غالبا والمتصالحة أحيانا هو ما تسبب فى تأخر الأمة وتخلفها عن اللحاق بالركب الحضارى كما حدث مع الأمم الأخرى التى واجهت

نفس التحدى لكنها نجحت فى التغلب عليه بسرعة وبدون الدخول فى مسائل خلافية جدلية لا طائل من ورائها مثل الأمة اليابانية أو الصينية. إن اليابانيين والصينيين لم يتوقفوا كثيرا أمام هذه الإشكاليات النظرية بل واجهوا التحديات بالفكر والعمل فى آن واحد آخذين من الغرب كل عناصر تقدمه دون أن يفقدوا شيئا من هويتهم الحضارية بل إن عناصر هذه الهوية الحضارية المتميزة كانت دافعا لتحقيق المزيد من التقدم لأنها تعتبر العمل المتقن هو العبادة الحقيقية وأن الانتماء إلى الحقل أو المصنع والعمل بأقصى طاقة ممكنة هو الطريق الأمثل لحياة انسانية مشرفة وفاعلة.

ومن هنا أقول أن التوقف أمام هذه الإشكاليات النظرية التى طرحتها هذه المشاريع الفكرية العربية ليس مجديا لأن الواقع لدى الأمم الأخرى تجاوزه، فضلا عن أننى كمواطن عربى مسلم الآن يعنى ببساطة أننى من مواطنى القرن الحادى والعشرين أى أننى أعيش هذا القرن بكل ما فيه من عناصر التقدم،وفى ذات الوقت أنا هو ذاك الذى يحيا فى البيئة العربية المؤمنة بالله ربا وبالاسلام أو بالمسيحية دينا. ومن ثم فأنا معاصر بحكم الزمان الذى أعيش فيه، وأصيل بحكم التاريخ والتراث والدين الذى يمثل هويتى الحضارية! وعلى ذلك فأنا لست محتاجا لأتوقف متسائلا أين المعاصرة وأين الأصالة وبأيهما أبدأ وعلى أيهما يكون التقدم والدخول فى حضارة العصر؟؟!! إننى ابن العصر مهما حاولت التنصل من بعض قيمه ورفضى لها وابن تاريخى وتراثى ولا يمكننى التعامل مع قيم عصرى إلا بما يتلائم ويتوافق مع عناصر هويتى. أنا اذن أصيل ومعاصر فى ذات الوقت ولا أستطيع أن أتبرأ من هذا أو ذاك. ومن ثم فإذا أردنا تحقيق التقدم فعلينا أن نلتهم كل ما فى العصر من تقدم استيعابا

وفهما ونتعامل مع معاصرينا دون خوف أو خشية من ضياع للهوية لأن هويتنا ستظهر فى كل ما نعمل دون افتعال أو تصنع، بل إن هويتنا هى ما سيدفعنا دفعا إلى تجاوز الغربيين فى كثير من الميادين وخاصة فى مجالى الأخلاق والدين، وهى ما يمكن من خلالها أن نضيف إلى الحضارة الغربية المعاصرة ما ينقصها. إن لدينا ما يمكن أن يسد نقصا فى الحضارة الغربية المعاصرة وهى الرؤية الكونية والدينية وكذلك الرؤية الأخلاقية المتوازنة للانسان. إن علينا اذن أن نتعامل مع العصر دون خشية فقدان الهوية لأن الهوية لا تفقد وان تزيت بغير زيها لبعض الوقت فهى بلاشك ستخلعه فى الوقت المناسب بعد أن تكتشف ذاتها وتقف كند للأخر فى مجالات التقدم المختلفة.

صدر لكم أخيرًا كتاب يحمل عنوان «الأورجانون العربى للمستقبل» تتناولون فيه سبل النهضة العربية المأمولة، فما هى طبيعة تلك الرؤية؟ وكيف ترون أبعاد التصحيح؟ وكيف تنهض الشعوب العربية (الأطر ـ الأبعاد ـ المنهج ـ الآلية).

هذا الكتاب اشتمل على بابين؛ الأول كان عن فلسفة المستقبل عموما حيث حاولت فيه التأسيس لهذا الفرع الجديد من فروع الفلسفة التطبيقية ومن ثم حاولت فيه تحديد معنى المستقبل وطبيعة التفكير فيه بين الكهانة والنبوءة وكذلك قدمت فيه عرضا لصورة المستقبل كما يراه العلماء والفلاسفة. وبناء عليه كان من الضرورى ـ كما تعودت على ذلك فى الكثير من مؤلفاتى ـ التساؤل عن المسقبل العربى وكيف ستكون صورته؟ والحقيقة أن فكرة كتاب الأورجانون العربى كانت تلح على منذ فترة طويله تأسيا بأورجانون بيكون الذى كان له فضلا كبيرا على

النهضة الأوربية والغربية الحديثة، لكنى كنت دائما أؤجلها انتظارا لمزيد من الدراسة والنضج، ومن ثم عادت فكرة الاورجانون من جديد بمناسبة التساؤل عن المستقبل العربى. ومن هنا كان الأنسب أن يكون هذا الأورجانون هو موضوع الباب الثانى لهذا الكتاب.

وقد بدأته بالتساؤل عن: لم الأورجانون العربى والآن؟! وكانت الاجابه هى أنه قد آن الأوان لتجاوز المشاريع الفكرية العربية النظرية الموجودة بمشروع فكرى جديد يكون أداتيا أى يكون بمثابة خطة عملية للإصلاح ترتكز فى وجهها الأول وهو الوجه النقدى على أمرين؛ أولهما هو التخلص مما أسميته الأوهام الغربية الثلاث وهى: ١ ـ وهم تفوق الحضارة الغربية ٢ ـ وهم التنمية والتقدم على الطريقة الغربية ٣ ـ وهم الديموقراطية وحقوق الإنسان. وثانيهما هو القضاء على أسباب التخلف وعوائق التقدم التى عانى منها العرب على مدار القرنين الماضيين وحصرتها فى عشرة عوائق هى: غياب الارادة الجماعية للاصلاح، التخلف الاجتماعى، غياب العدالة والنظام، انهيار سلم القيم العربية التقليدى بوجهه الايجابى، غياب الثقافة العلمية، غلبة الأقوال على الأفعال، اهدار طاقات الشباب وعرقلة الحركة الطبيعية للأجيال، عدم الاحساس بقيمة الوقت وأهمية الزمن، اهمال اللغة العربية كلغة قومية فى الدرس والبحث العلمى، وتدنى مكانة المفكرين والعلماء العرب مع عدم الحرص على التفاعل مع رؤاهم الفكرية والاستفادة من مكتشفاتهم العلمية.

أما الجانب الايجابى من هذا الأورجانون فقد ركزت فيه على خمس ركائز للنهوض وهى: ١ ـ بناء نظام تربوى وتعليمى جديد ٢ ـ النهوض

بالبحث العلمى ودعمه بلا حدود ٣ ـ التحول إلى عصر مجتمع واقتصاد المعرفة ٤ ـ اصلاح وتحديث الفكر والخطاب الدينى ٥ ـ تحقيق طفرة نهضوية وحدوية على الصعيدين السياسى والاقتصادى.

ولعلك تلاحظ معى أنه لو تضافرت جهودنا على الالتفاف حول بنود العقد الاجتماعى العربى الذى تحدثنا عنه فيما سبق، وعملنا وفقا لما أشرنا إليه الآن من القضاء على عوائق التقدم، وفى ذات الوقت ركزنا على تفعيل ركائز النهوض ووضعناها موضع التنفيذ، لأمكننا كعرب أن نكون أمة فاعلة فى حضارة العصر، ولصنعنا التقدم والاستقرار لأنفسنا، ولما فكر أحد فى التآمر علينا بغرض التفتيت والتقسيم وافناء الوجود. ان قرارنا بيدنا فإما أن نقرر النهوض والتقدم وإما أن ننتظر ما يدبر لنا من مؤمرات ومخططات نحن بالتأكيد سنكون السبب فيها بتقاعسنا و«قابليتنا للاستعمار» على حد تعبير مالك بن نبى رحمه الله.

وعلى أى حال أنا متفائل دائما بالمستقبل؛ لأنه بقدر ما تزداد التحديات وتشتد المؤامرات، بقدر ما تكون الاستجابة الايجابية من كل عناصر الأمة، وليس عام ١٩٧٣ م ببعيد حيث لما تأزمت أمور الأمة واشتدت وطأة النكسة بعد هزيمة ١٩٦٧م، وجدنا هذه الاستجابة المذهلة من الجيش المصرى وبمعونة الأشقاء العرب حكاما وجيوشا وشعوبا، تحقق النصر وانتهت أسطورة ذلك الجيش الذى لايقهر، وكان من جراء الثقة بالنفس والعمل المتقن للانتصار على هذا التحدى، أن تحقق النصر واكتسبنا احترام العالم، العدو منه قبل الصديق. فما بالنا الآن والتحدى قد بلغ ذروته، وهذه العصابات المسلحة تتلاعب بنا وتعيث فسادا فى الكثير من بلادنا العربية والعدو الأكبر واقف على الجانب الآخر يترقب

ويتحين اللحظة المناسبة للانقضاض على فريسته وهى فى قمة الضعف وعلى وشك الاستسلام!!!

ما هى مشروعاتكم المستقبلية فى الكتابة والتأليف؟

الحقيقة أننى مشغول الآن بكتابة سلسلة من الدراسات حول رواد التنوير فى الفكر العربى الحديث من أمثال رفاعة الطهطاوى وجمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس ومالك بن نبى واسماعيل مظهر وشبلى شميل ومنصور فهمى وطه حسين..الخ وتنشر مسلسلة فى مجلة اكتوبر بالقاهرة. كما أننى أحاول فى الوقت نفسه استكمال الجزء الثانى من كتاب «رواد التجديد فى الفلسفة المصرية المعاصرة». بالاضافة إلى مواصلة كتابة المقالات التنويرية فى بعض المجلات العربية كمجلة العربى وغيرها، وكذلك أحاول المداومة على كتابة مقالاتى الفلسفية والسياسية لصحيفة الأهرام اليومية المصرية. وفى ذات الوقت أشارك مع فريق عمل من الزملاء فى استكمال مابدأناه فى تأليف الكتب الفلسفية المقررة على المدارس الثانوية العامة المصرية؛ حيث انتهينا فى العامين الماضيين من اصدار الكتب المقررة على الصفين الأول والثانى الثانوى، ونكتب الآن الكتاب المقررعلى الصف الثالث الثانوى. والجدير بالذكر أننا حاولنا فى هذه السلسلة من الكتب الفلسفية المتدرجة التركيز على اكساب الطلاب مهارات التفكير الفلسفى والمنطقى والتدريب على تطبيقها أكثر من التركيز على المعلومات التاريخية حول الفلسفة وتاريخ المذاهب الفلسفية. كما حاولنا فيها أيضا ربط دراسة الفلسفة بمشكلات وقضايا الحياة المعاصرة الفكرية منها والحياتية مثل قضايا البيئة والقضايا الأخلاقية والسياسية والفنية.. إلخ.